

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

في التفقه في الدين ثلاثة أمور:

الأمر الأول: سمو الهدف

بأن تكون الغاية من التفقه في الدين غاية سامية عالية، وهي كما نقرأ في هذه الرواية الشريفة، عن رسول
الله (صلى الله عليه وآله): (مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ بَاباً مِنْ عِلْمٍ لِيَرُدَّ بِهِ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ، أَوْ ضَلَالَةً إِلَى هُدًى، كَانَ
عَمَلُهُ ذَلِكَ كَعِبَادَةِ مُتَعَبِّدٍ أَرْبَعِينَ عَاماً).

مما يؤكد أن الهدف من طلب العلم هو التصدي للدفاع عن الدين، ورد الشبهات ودفع الأباطيل،
وترسيخ الدين في نفوس الناس، وتقوية ارتباطهم بمذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)، فإذا
كان هذا هو الهدف من طلب العلم كان الطريق موفقاً ومؤيداً، وأما لو كان الهدف سعة الشخصية
الاعتبارية وانتشارها فالطريق مليء بالعقبات والحجب المظلمة.

الأمر الثاني: كيف نصل إلى الاجتهاد؟

كثير من الطلاب يطرح هذا السؤال، وهو كيف نصل إلى الاجتهاد ونحن أذهاننا محدودة وقدرتنا
قاصرة، فلا نمتلك الذكاء العالي حتى نصل إلى مقام الفقاها والاجتهاد ولا القدرة المتميزة، ونرى في العلم
تفاصيل كثيرة واتجاهات متنوعة، فالمنال بعيد.

والجواب عن ذلك: أيها الطالب العزيز والفاضل النبيل لا تحاول أن تزدري بقدراتك، ولا تنظر لنفسك
نظرة يأس وإحباط، أو نظرة استصغار بعقلك وطاقتك، فالطريق ميسور ومفتوح، وباب الاجتهاد كسائر
العلوم الشاخحة، فمثلاً الطالب إذا دخل الجامعة لا ينبغي منه أن يقول: أنا لا أستطيع أن أصبح طبيباً أو

مهندساً لأن عقلي صغير وقدرتي محدودة، فإن مقتضى الإنصاف أنه بإمكانه أن يصبح طبيباً متميزاً أو فيزيائياً بارعاً أو أي اختصاص، فكل من يمتلك طاقة ذهنية وإرادة وصبراً يستطيع الوصول، فلا تيأس أبداً، ولا تتعامل مع نفسك بالإحباط والازدراء، بل انطلق بالطريق ميسور، وأبواب العلم مفتوحة، فمن جدّ وجد. نعم، يحتاج ذلك إلى مقدار من الصبر وبذل الجهد، حتى لو كان ذهنك بدرجة معينة فالعمل والصبر سيوصلك.

وللوصول إلى الغاية المنشودة يحتاج الطالب إلى خطوات أربع، وبها يصل إن شاء الله:

الخطوة الأولى: الإعداد الجيد للمادة التي يحضرها عند الأستاذ

فيقوم بقراءتها في كتاب أيام العطلة، مثلاً: إذا كان الأستاذ يتحدث عن باب التعارض أو باب التزام، فمن المناسب للطلاب أن يقرأ عن التعارض والتزام في أيام العطلة في كتاب من الكتب نحو مصباح الأصول، لتكون لديه صورة عامة عن المطلب، ويتعرف على مداخله و خيوطه.

الخطوة الثانية: التلخيص

فلا يكتفى بالتقرير المكتوب، فإنه من أجل ترسيخ المعلومات في ذهنه يقوم بتلخيصها إلى نقاط، فإن ذلك يساعده على تركيز وترسيخ المعلومة، خصوصاً إذا كان الدرس مشتملاً على تفاصيل وأقوال.

الخطوة الثالثة: المذاكرة مع الزملاء

إذ بدون مذاكرة تذهب المعلومات وتنسى، فلتكن بين الطالب والأكفاء من زملائه مذاكرة يومية حتى تثبت المعلومات.

الخطوة الرابعة: المشافهة مع الأستاذ

وهي مهمة، لأن السؤال يفتح أبواباً لا يفتحها الدرس، فكثير من المطالب العلمية في الدروس تبقى غامضة، حتى مع كون بيان الأستاذ بياناً واضحاً عند شرح المطالب، لكن تبقى نقاط غامضة، وبالسؤال والمشافهة تتضح زوايا المطالب وتنكشف المقاصد.

فإذا جمع الطالب هذه الخطوات الأربع - الإعداد والتخليص والمذاكرة والمشافهة مع الأستاذ الخبير - يصل إن شاء الله، فإن الله تبارك وتعالى يفتح لكل من دخل الباب وطرق الميدان قاصداً خدمة الدين الحنيف.

نعم، إن الفقاهاة لها درجات وآفاق متنوعة، وحتى الأعظم من العلماء يتفاوتون، فبعض العلماء متفوق في الرجال، وبعض العلماء متميز في استظهار المعاني العرفية من الأدلة، وبعض العلماء متضلع في أبواب المعاملات، وبعض العلماء مسيطر على فقه الصناعة.

ولا يوجد عالم أحاط بعلوم الفقه والأصول والتفسير والكلام واللغة والبيان كلها بأسمى درجة غير المعصوم (عليه السلام)، وإلا فالعلماء يتفاوتون، وباب الفقاهاة له أبواب له ودرجات، ومن جدّ وصبر وبذل الجهد فإنه سيصل درجة من هذه درجات بحسب تعبته وبحسب خبرته.

الأمر الثالث: أن العلم مبارك

فكلما أسهمت فيه بإخلاص وصدق وتضلعت في معالمة انفتحت لك الأبواب وكثرت البركة العلمية والعملية، ففي الرواية الشريفة عن كميل عن علي عليه السلام أنه قال: (يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ).

فالعلم لا يحرسك من جور الظالمين بل يحرسك ويصونك من الانحراف - كالانحراف العقائدي والانحراف الخلقي - لأنه حصانة منيعة، بينما المال هو الذي تتصدى لحفظه وحراسته، والمال تفنيه النفقة، فكلما أنفقت من المال يذهب ولا يرجع، بينما العلم يزكو مع الإنفاق، فكلما جدد الطالب المعلومات وقام بالتدريس والتدقيق زادت خبرته وقويت ملكته. وقد ترى البعض من العلماء إذا ذهب إلى مدينته واستقر فيها وترك التدريس ومزاولة العلم، يتضاءل بمرور الوقت ويصبح بعد عشرين سنة كأنه طالب مقدمات. فلاجل أن يبقى العلم ويزكو وينمو فلا بد من مزاولة التدريس ومداولة المعلومات، فالعلم يزكو مع الإنفاق كما قال (عليه السلام).

نسأل الله لنا ولكم التسديد والتيسير، وأن يوفقنا لطلب العلم والعمل الصالح، وأن يجعلنا من المرضيين عند إمامنا صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.